



مقاصد الشريعة

الفصل الدراسي الثالث

معالي الشيخ / د. سعد بن ناصر الشثري

الدرس التاسع

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، اللهم صلِّ وسلم وبارك، على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحابه أجمعين، وعلى من تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

مقصد وجود النصيحة وشيوعها في الأمة.

- فمن مقاصد الشرع أن يوجد تناصحٌ في الأمة، وليس المراد بالنصيحة مجرد الوصية، بل معنى النصيحة أعم من ذلك بكثيرٍ، فالنصيحة يُراد بها الإتقان مع الصدق ، يُقال نصح فلانٌ لفلانٍ، أي صدقه وأتقن في عمله معه.
- وبعض أهل العلم قال: بأن النصيحة هي قيام الناصح للمنصوح له بوجه الخير، وبذلك نعلم أن النصيحة تُقابل الغش والخديعة.
- فعندما تؤدي عملاً لغيرك وتتقنه تكون قد نصحت له، ولهذا قيل: هناك نصيحةٌ لله، ليس المراد بها إيصال الحق فالله عزَّ وجلَّ عالمٌ بالحق، لكن المراد به أن يتقن الإنسان في عمله وأن يبتعد عن الغش والتدليس فيه.
- قال الله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة: 91].
ومثل هذا في قول أخت موسى عليه السلام حينما أَلقت أم موسى موسى في اليم، فالتقطه آل فرعون، فحزنت عليه أمه، فحينئذٍ قالت لأختيه قصيه، فبصرت به عن جنبٍ وهم لا يشعرون، قال الله تعالى: ﴿وَحَرَمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ﴾ [القصص: 12]، أي امتنع من أن يرضع من النساء اللاتي عُرضن عليه، فقالت أخته: ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ﴾ [القصص: 12].
فيدلك هذا على أن معنى النصيحة ليس مقتصرًا على التواصي والتذكير بالخير.
- ولذا قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾ [التحريم: 8]، أي متقنه، صدق صاحبها فيها.
- ومن هنا نعلم معنى النصيحة، وأن النصيحة شاملةٌ، تشمل كل إتقانٍ مع الصدق، فإنه يقال له نصيحةٌ.
- هذه النصيحة قصد الشارع إيجادها في الناس، وجعل قدوتهم، وهم الأنبياء عليهم السلام هم من يقدمون الخلق في أداء النصيحة، كما قال الله عزَّ وجلَّ عن نوحٍ أول الأنبياء عليه السلام: ﴿أُبَلِّغُكُمْ رَّبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: 62]، وفي الآية الأخرى قال تعالى عن نوحٍ: ﴿وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [هود: 34].
- وقال تعالى عن نبيه هودٍ عليه السلام: ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾ [الأعراف: 68].

ونقل الله عز وجل عن شعيب أنه قال: ﴿يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَافِرِينَ﴾ [الأعراف: 93]، وفي الآية الأخرى عن صالح: ﴿لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِن لَّا تُجِبُونَ النَّاصِحِينَ﴾ [الأعراف: 79].

ولهذا لما سأل النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه: «إِنَّ اللَّهَ سَأَلَكَ عَنِّي فَمَا أَنْتُمْ قَائِلُونَ؟»، قالوا: نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت.

فالأنبيا عليهم السلام هم القدوة في النصيحة للخلق.

• وتلاحظون هنا أن النصيحة تكون باستجلاب الخير للآخرين، سواء وافق أهواءهم أم لم يوافقها ، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: «انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً» ، قالوا: هذا نصره وهو مظلوم، فكيف ننصره وهو ظالم؟ قال: «بأن تحجزه عن الظلم»، بأن تمنعه عن الظلم، فهذه صورة من صور النصيحة.

• ولذلك الوالي عندما يوقع العقوبات، والقاضي عندما يقرر العقوبات، ينطلق من باب النصيحة، النصيحة لمن يوقع عليه الحد، والنصيحة للأمة، وبالتالي فهذا الأمر وإن كان مكروهاً للنفوس، لا يرغبه من يقام عليه الحد، إلا أنه نصيحة لله ولرسوله ونصيحة للأمة ونصيحة لذلك الذي يقام عليه الحد، فإنه حينئذٍ تُكفَّر عنه سيئاته، ويكون سبباً من أسباب مغفرة ذنبه.

ومن هنا ذكر الله عز وجل ﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ﴾ [يس: 20]، قال ابن عباس: نصح قومه حياً وميتاً، في سورة يس.

وفي الآية الثانية التي في سورة القصص: ﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَا مُوسَىٰ إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ﴾ [القصص: 20].

فنصحه مع أنه قد يخالف هواه في مثل هذا.

فالمقصود أن هذه النصيحة يؤمر الخلق بأن يشيعوها فيما بينهم، وأن يكون التعامل فيما بين الناس بعضهم مع بعضٍ على مقتضى النصيحة، وهي أداء الأمر بإتقانٍ مع الصدق فيه.

• وهذا كما يشمل النصيحة في عبودية الله عز وجل بأن نؤدي الأعمال والعبادات على ما يريد الله جلَّ وعلاً، أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك، يشمل أيضاً التعامل مع الخلق في البيع والشراء، وفي الأخذ والإعطاء، وفي معاملة الآخرين، وأنواع المعاملة معهم، ولذا قال النبي صلى الله عليه وسلم: «خير الكسب كسب العامل إذا نصح»، كما رواه الإمام أحمد من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وهذا مثل ما ورد في الحديث الآخر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «البيعان بالخيار ما لم يتفرقا، فإن صدقا وبينا بورك لهما في بيعهما، وإن كتما وكذبا محقت بركة بيعهما».

• ومن الأمور التي تكون فيها النصيحة أن ينصح الإنسان لغيره إذا كان هناك مشورة، وشاورك أخوك فانصح له وأعطه من الرأي ما تراه لنفسك، ومن هنا قال النبي صلى الله عليه وسلم: «إذا استشار أحدكم أخاه فلينصحه»، كما روى ذلك أبو داود الطيالسي.

وفي الحديث الآخر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «حق المسلم على المسلم ستٌّ»، وذكر منها «وينصح له إذا غاب أو شهد»، وفي لفظ آخر أنه قال: «وإذا استنصحتك فانصح له».

- ومن أنواع النصيحة ما ورد في قول النبي صلى الله عليه وسلم: «إذا نصح العبد لسيده» أي أدى العمل الذي يأمر به سيده بإتقانٍ وصدقٍ، «إذا نصح العبد لسيده، وأحسن عبادة الله، فله أجره مرتين».
- وهكذا يؤمر أصحاب الولاية بأن يكونوا ناصحين في ولايتهم، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: «ما من عبدٍ يسترعيه الله رعيةً، فلم يُحطها بنصحه إلا لم يجد رائحة الجنة».
- ومن هذا ما ورد في الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «المستشار مؤتمن».
- ويتعلق بهذا أيضًا أن كل إنسانٍ مهما كانت منزلته، يوجد عنده أناسٌ يُرغبونه في الخير، ويحذرونه عليه، وفي المقابل يوجد عنده كذلك من يأمره بضد هذا، ويُرغبه في الشر، ولذا قال النبي صلى الله عليه وسلم «ما بعث الله من نبيٍّ ولا استخلف من خليفةٍ إلا كانت له بطانتان، بطانةٌ تأمره بالمعروف وتحضه عليه، وبطانةٌ تأمره بالشر وتحضه عليه، والمعصوم من عصمه الله تعالى» ، كما روى ذلك الإمام البخاري في صحيحه.
- وحينئذٍ نستشعر ما ورد في الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «الدين النصيحة، الدين النصيحة، الدين النصيحة»، تلاحظون أنه أتى بالمبتدأ معرفاً الدين، مما يقتضي الحصر، كأنه قال: ينحصر دينكم في النصيحة.
- وكما تقدم ليس المراد بذلك خصوص الوصية أو التبليغ، أو التذكير، والوعظ، بل يشمل جميع أنواع التصرفات مع الغير، بل قد يكون هناك نصيحةٌ من الإنسان لنفسه، فتنصح لنفسك بأن تختار لها ما يصلحها دنيا وآخره.
- نعود للحديث الأول، قال: «الدين النصيحة»، قلنا لمن يا رسول الله؟ سأل الصحابة لمن تكون النصيحة؟ قال: «لله، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين وعامتهم»، خمسة أصنافٍ.
- **ما المراد بالنصيحة لله؟**
- النصيحة لله تشمل الإقرار بتوحيد الربوبية أنه هو الخالق الرازق المتصرف في الكون سبحانه وتعالى، والإقرار بتوحيد الألوهية مع الالتزام به، فالعبادة كلها لله، ويسمو الإنسان عندما يجعل كل أعماله لله، إذا أكل، نوى بذلك التقرب لله، حينئذٍ يكون قد وصل إلى رتبة عبودية في هذا الباب، هكذا، فيما يتعلق بالأسماء والصفات، فإن من النصيحة لله أن نثبت أسماءه وصفاته كما وردت في الكتاب والسنة، وألا نخترع أسماءً أو صفاتٍ من عند أنفسنا، وألا نكيف هذه الصفات، لها كيفية الله أعلم بها.
- هكذا من النصيحة لله، ترك المعاصي والذنوب، وكذلك الاتصاف بصفات القلوب، بحيث يخاف الإنسان من الله، لا يخاف إلا منه، يرجو المرء ربه لا يرجو إلا إياه.
- وهكذا في بقية الصفات، التوكل، الإنابة، العبودية، ونحو ذلك.
- قال: «الدين النصيحة»، قالوا: لمن يا رسول الله؟ قال: «لله ولكتابه».
- المراد بالنصيحة للكتاب تعليم هذا القرآن، وتعلم القرآن، وتلاوته، وفهمه، والعمل به، وتحكيمه، والدَّبُّ عنه، كل هذه من النصيحة لكتاب الله القرآن العظيم، تجعل لك وردًا يوميًا تقرأ فيه القرآن هذا من النصيحة لكتابه.

● هكذا قال: «ولرسوله»، «لله ولكتابه ولرسوله»، فالأظهر أنه يراد به محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقيل بأن المراد بهذا عموم الأنبياء، والقول الأول هو الأشهر.

● بماذا تكون النصيحة لرسول الله صلى الله عليه وسلم؟

تكون بتوقيره وإجلاله صلى الله عليه وسلم، تكون بتعظيم سنته، والأخذ بها، والاستدلال بها، تكون بتعليم سنة النبي صلى الله عليه وسلم، والاقتداء به صلى الله عليه وسلم.
من النصيحة لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن نحبه محبة أعظم من محبتنا لأنفسنا، ولوالدينا، وقرابتنا.
● أما الصنف الرابع فهو النصيحة لأئمة المسلمين، والمشهور في كلمة أئمة المسلمين أن يراد بها أصحاب الولاية. والنصيحة لهؤلاء تكون بإعانتهم على القيام بالأعمال الصالحة التي وكلت بهم، تتقرب إلى الله بالنصح لهم، والعمل معهم، تريد بذلك أن تكون ناصحاً لله ولرسوله، لأنك بذلك تعينهم على العمل الصالح الذي يقومون به.

وهكذا من النصيحة لهم جمع الكلمة عليهم، وتأليف القلوب عليهم، والذب عن أعراضهم، وعدم السماح والإذن لمن يريد أن يتكلم فيهم، وهكذا تنبيههم عند الغفلة، وسد خلتهم عند الهفوة، ورد القلوب النافرة إليهم.

ومن معاني لفظة وأئمة المسلمين أن يراد بها العلماء الفقهاء لماذا؟ لأن الناس يقتدون بهم، يأخذون دين الله عنهم، وحينئذ تكون النصيحة للعلماء ببث علومهم، بتوقيهم، بنشر مقالهم، بجعل الناس يحسنون الظن بهم، ونحو ذلك من الأعمال الصالحة التي تكون من النصيحة لولاة أمور المسلمين.

● وقد جاء في الحديث الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ثلاث لا يغل عليهن قلب مؤمن، إخلاص العمل لله»، ما معنى إخلاص العمل لله، أن تريد به وجه الله والدار الآخرة، ما تريد دنيا، ليس المراد بكلمة الإخلاص الإتقان، الإتقان هذا في النصيحة.

❖ الأول: إخلاص العمل لله.

❖ الثاني: النصيحة لولاة المسلمين، «النصح لولاة المسلمين ولزوم جماعتهم».

وحيث نعلم أن إخلاص العمل لله، والنصيحة هذه لا يغل عليهن قلب امرئ مسلم، أي لا يكون فيه حقد تجاهها.

❖ الثالث: مما ورد في الحديث من كونه يقوم بلزوم جماعتهم «فالنصيحة لعامة المسلمين»، والمراد به

من لم يكونوا من الفقهاء المجتهدين، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: «ثلاث لا يغل عليهن قلب امرئ مسلم»، أي ثلاث خصال، وثلاث صفات، «لا يغل عليهن قلب امرئ مسلم»، أي لا يحقد ولا يمتلي حنقاً وغيظاً.

● كيف ينصح لعامة المسلمين؟

بأن يسعى فيما يحقق النفع لهم دنيا وآخرة، ومن ذلك تعليمهم وكف الأذى عنهم، وذكر محاسنهم، التواصي معهم بالحق، وشاهد هذا قول النبي صلى الله عليه وسلم: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»، وقد ورد في الأثر: «المسلم يستروينصح، والمنافق يهتك ويفضح»، وفي لفظ: «ويُعير».

وحينئذٍ نعلم الفئات التي تكون لها النصيحة، وما ذكر هنا يشمل الجميع، لا يترك أحدًا من الناس، لا يترك أحدًا من الخلق.

- قال ابن عباس -رضي الله عنه- في الترغيب في مصاحبة أهل النصح: "لا يزال الرجل يزداد في صحة رأيه، ما نصح لمستشيريه، فإذا غشه، سلبه الله نصحه ورأيه".
- وأنبه هنا إلى وقوع التدليس من بعض الناس، يُظهر ثيابًا حسنةً، ولفظًا جميلًا، وكلامًا معسولًا، ويوهم الخلق بأنه من أهل النصح، ولا يكون كذلك، وكم وجدنا هذا، منهم من يكون لجهلٍ، ومنهم من يكون مريدًا للشر، راغبًا في إفساد أحوال الأمة، ولذلك لما جاء إخوة يوسف لأبيهم يعقوب، يريدون أن يحققوا ما يفعلوه من تأمرٍ ضد يوسف -عليه السلام-، كأنه تمتع، فقالوا: ﴿يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ﴾ [يوسف: 11]، أظهروا ثياب النصح، وهم ليسوا كذلك، وفي الآية الأخرى يقول رب العزة والجلال عن إبليس: ﴿وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لِنَاصِحٍ﴾ [الأعراف: 21]، وفي الحقيقة ليس بناصح، هو يريد الشر، يريد أن يخرجهم من الجنة.
- المقصود أن النصح والنصيحة هذه أمورٌ عظيمةٌ، كبيرة الجانب، وليس نطاق التعامل بها محصورًا في بابٍ دون بابٍ، أو في تعاملٍ دون تعاملٍ، أو مع أشخاصٍ دون آخرين، بل هي قاعدةٌ عامةٌ جاءت بها الشريعة، في ما لا يتناهى من الصور، ولذلك كان النبي -صلى الله عليه وسلم- يدعو ربه أن يجعله من الناصحين.
- جاء في حديث أبي هريرة أن النبي -صلى الله عليه وسلم- كان يدعو فيقول: «اللهم اجعلني أعظم شُكرِك، وأكثر ذكرك، وأتبع نُصْحِك، وأحفظ راحتك...»، كما ورد ذلك في صحيح البخاري.
- وجاء في الحديث الآخر: أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «لَا تَقْصُوا الرُّيَا إِلَّا عَلَى عَالِمٍ أَوْ نَاصِحٍ».
- ومن هنا يتقرب المؤمن لربه -عزَّ وجلَّ- بأن يكون ناصحًا، وأن يكون مريدًا للخير مع الخلق، وأن يسعى إلى نشر هذا الخلق الفاضل في الناس.
- قد تكون علاقة النصح بين الأخوين، وبين القريين، وبين الجارين، زملاء في مدرسةٍ، بنوا علاقتهم على النصح، بدون تدليسٍ ولا غشٍ ولا كذبٍ، فحينئذٍ تكون هذه العلاقة مبنيةً على هذا الخلق الفاضل، وهو خلق النصيحة، ويعظم أجرهما، ويكثر ثوابهما، إذا كانا من أهلها، من أهل النصيحة.
- هكذا قد يكون النصح بين الجيران، ينصح لجاره، يبحث عن الخير لهم، وما يحقق مصلحتهم، إذا وجد منهم ماءً ميثوثًا نظمه، وإذا وجد مألًا أو طعامًا مُلَقًى رتبه، وهكذا ينصح لهم، كما ينصح لنفسه، كما جاء في الحديث: أن النبي -صلى الله عليه وسلم- لما جاءه جرير يبايعه، قال: «والنصح لكل مسلم».
- من الأمور التي أيضًا نشير إليها ما ورد في حديث خزاعة، يقول القائل عن خزاعة: "إنهم كانوا عيبة نصح لرسول الله -صلى الله عليه وسلم-".
- جاء في حديث جرير، قال: بايعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- على إقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والنصح لكل مسلمٍ، وفي حديثٍ آخر يفسر هذا الحديث، قال: أتيت النبي -صلى الله عليه وسلم-، فقلت: يا رسول الله، إني أبايعك على الإسلام، فقال النبي -صلى الله عليه وسلم-، شرط عليه، قال: «والنصح لكل مسلم».

- فهذه تدلّك على أن هذا الخلق الفاضل، خُلِقَ النصيح، خُلِقَ مُؤَصِّلٌ، وَاُردُّ في كتاب الله، وفي سنة رسوله -صلى الله عليه وسلم-، وهو مقصدٌ من المقاصد العظيمة لديننا الحنيف، ومتى تناصح الناس، وسعى كل واحدٍ منهم في ما يحقق المصلحة لغيره، سعدت الأمة، وتكاملت أحوالها.

ذكرتم أن النصيحة شاملةٌ، وليست منحصرةً بالتواصي، فمثلاً الذي يريد أن يقوم بالنصيحة، هل هناك آدابٌ لها؟ إذا كان لديه نصيحةٌ يطلقها هكذا بدون؟.

- النصيحة التي هي بمعنى التواصي، التواصي هذا بالخير والتذكير به، هذا نوعٌ من أنواع النصيحة، ليس كل أنواع النصيحة، هذا له آدابٌ، أن المؤمن يستروينصح، وأما المنافق أو الفاجر فيمتك ويعيّر، فمقتضى النصيحة أن تسع علم الناس أو لم يعلموا، لأنك لا تريد مراعات الخلق بذلك، وإنما تريد استجلاب الخير لأهله، ولو غابوا.
- وهناك آدابٌ كثيرةٌ في النصيحة، مثلاً: من شروط النصيحة: ألا تفعل فعلاً تكون عاقبته أضر من فائدته وثمرته، هذا أيضاً قاعدة في هذا الباب.
- في زماننا الحاضر هناك وسائل عديدةٌ، استخدمها الناس لم تكن موجودةً في العصور الماضية، هذه الوسائل الجديدة لها حظها من النصيحة، ويجب استعمالها في هذا الباب، فمثلاً عندما يوجد هناك صاحب سيارةٍ، ينصح للآخرين ممن حوله كما ينصح لنفسه، ما يهجم ويكون هو الأول، يقدّم غيره، لأنه يريد أن يكون ممن انطبق عليهم الحديث «والنصح لكل مسلم».
- هكذا مثلاً في وسائل التواصل الاجتماعي، النصيحة: بأن تختار ما هو محققٌ للمصلحة للآخرين، تريد بذلك ما عند الله -جلّ وعلا-، في مراتٍ قد تأتي الأنانية على الإنسان، فتجعله مرةً يطغى، ومرةً يظلم، ومرةً يأخذ مال غيره، هذا التصرف ليس من النصيحة، لكن من النصيحة إبلاغ صاحب الشأن عنه، ترتيب عودة المال إلى صاحبه، ونحو ذلك.
- هكذا من النصيحة في وسائل التواصل الاجتماعي أن لا نستعملها إلا في ما يُرضي الله -جلّ وعلا-؛ لنكون قدوةً على الخير -بإذنه سبحانه وتعالى.
- مما يشكل علي: أن النصيحة كأنه يدخل في تحقيق العبودية، النصيحة لله، ذكرتم أن النصيحة تكون بإقرار التوحيد، والإخلاص لله، فأخذنا في تحقيق العبودية هذه الأمور، فيه تداخلٌ بهما أم كيف؟.
- هناك تقاطعٌ بين المقاصد، بحيث يكون هناك سلوكياتٌ وأعمالٌ دل عليها مقصدان أو ثلاثَةٌ، ولا يمتنع هذا، ولذلك مثلاً هناك تقاطعٌ بين النصيحة وبين الإحسان، الذي ذكرناه في ما مضى، هناك تقاطعٌ بينها، هكذا في إيصال الحقوق لأصحابها، هناك تقاطعٌ بينه وبين النصيحة، ولذلك وجود هذا التقاطع لا حرج فيه، ولا إشكال في وجوده.
- من الأمور التي ينبغي أن نتفطن لها في ما يتعلق بأمور النصيحة: أن نلاحظ ما تؤدي إليه هذه النصيحة، مراتٍ أنا أريد أن أحسن إليك فأسيء، ومراتٍ أريد أن أعمل معك عملاً صالحاً فيكون من الأعمال الرديئة،

ولذلك على الإنسان أن يعرف قدر نفسه، وأن يعرف ما يمكنه فعله، ويتمكن فيه من الإتيان، والصدق فيه، وما ليس كذلك.

- إذن لابد أن نلاحظ هذا المبدأ العظيم، مبدأ النصيحة في كل حياتنا، وأن نجعله مُحَكَّمًا على كل فعل نريد أن نسلكه، وليست النصيحة بموافقة الأهواء، وإنما باستجلاب النفع والخير للآخرين.

من المسائل التي تتعلق بهذا الباب.

(١) أن الناصح يلحقه نوعٌ من الأذى، يعني مثلاً يأتيك ولي يتيماً محسناً إليه، ناصحٌ معه، ويحفظ ماله، فإذا بلغ اليتيم، قال: أخذت بعض مالي، بخست ورثي من أبي، وهذا كثيرٌ، فهكذا نجد أيضاً في مع أن هذا حقه أن يُقدَّر، وأن يُجَلَّ، وأن يُقام معه، وهكذا في كثيرٍ من أنواع التصرفات، يلاحظ فيها هذا الباب، فانتبه! قد تظن أن هذا التصرف يكون من الصدق والنصيحة، ولا يكون كذلك، بل يكون مضاداً له، وهكذا لما ذكرنا عن إبليس -كفانا الله وإياكم شره- قال: ﴿وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ﴾ [الأعراف: 21]، فهنا لما قَدِمَ أظهر الصورة الحسنة؛ ليكون هذا من سُبُل التأثير عليه، ومن سبل استجلابه إليهم.

(٢) أنه في مراتٍ يوجد في الناس من لا يعرف الأمور بتمامها، فتجده ينتقد، ويتكلم، ويؤثر على تعامله وعطائه، ولا يدرك عواقب الأمور أو حقائقها؛ لأنه نظر من زاوية ضيقة، وبالتالي لمن يكن ناصحاً، فإذا تكلم أو قدح في هذا الأمر، يكون حينئذٍ قد غشه، لأنه لم يشاهد الأمر من جميع نواحيه، ومن ثمَّ فإن كلامه لا يكون كلام المتعمق الفاهم، لما يكون تحته من الأمور والقضايا.

(٣) أن بعض الناس يقوم بالنصيحة من باب الحمية، أو من باب القرابة، أو نحو ذلك، ويغفل عن أن النصيحة مقصدٌ ينبغي أن يُقصد به وجه الله والدار الآخرة، ما يقوم بهذا الأمر مجاملةً، أو نحو ذلك، وإنما ينبغي به أن يجعله لله -عزَّ وجلَّ-، والخلق لن ينفعوا العبد إلا بامر رب العزة والجلال.

(٤) أن بعض الناس يتيه في تعرف النصيحة، ويبقى متردداً، وقد يجزم به قولاً، ثم تكون العاقبة أو عواقب الأمور بعد ما تتضح على خلاف اعتقاده وظنه، من ثمَّ لابد من التحقق من وجود الصفات المتعلقة بمثل هذا.

- فالمقصود: أن النصيحة قد تنقلب لتكون فضيحةً، وقد تنقلب لتكون إساءةً، وقد تنقلب لتكون أمراً سيئاً يعود على الإنسان، كيف يكون كذلك؟ إذا لم تُراعَ الشروط الشرعية في هذه الأبواب.
- لو جاءنا إنسانٌ وصلى، وبعد الفراغ قال: الحمد لله صليت، لكن بدون وضوءٍ، هل نقول: نصح لنفسه؟ لا ما نقول، غش، هكذا عندما يوجد من يؤدي عملاً يتعلق بغيره، فيغش فيه، حينئذٍ لم ينصح، مثلاً عندما موظفٌ في الدوائر الحكومية، يتأخر عن العمل، لا ينجز المعاملات التي لديه، لا يؤدي مهام العمل، فحينئذٍ نقول: بأنه لم ينصح لهذا العمل، ما أداه على الوجه الحسن، الذي يُراد منه.
- كذلك عندما يدخل الإنسان في غير فنه، يظن أنه ناصحٌ، فيتبين أنه بخلاف ذلك، فهذه نماذج وتطبيقات متعلقة بهذا المقصد العظيم -مقصد النصيحة-، وأؤكد مرةً أخرى! انتهوا لا تلبس عندكم بعض المقاصد الأخرى التي يحصل بينها وبين هذا المقصد تداخلاً، لكلٍ حكمه، ولكلٍ أثره.

النصيحة تكون من إنسانٍ ملتزمٍ أم مقصّرٍ؟.

النصيحة بمعناها العام، حسب النصوص الشرعية: باختيار الخير للآخرين، هذه للجميع، بدون استثناءٍ.

- النصيحة التي تكون بمعنى التواصي بالحق، هل هي خاصةٌ بالملتزمين؟ نقول: لا، هي عامةٌ لكل أحدٍ، لكن ما ينصح إلا في ما علم أنه من أحكام الله -عزَّ وجلَّ-، لا ينصح لله إلا إذا علم أنه من أحكام الله -سبحانه وتعالى-، أما إذا لم يكن كذلك، فإنه لا يُعد من الناصحين، يعني جاءنا واحدٌ جاهلٌ في مسألةٍ يجهلها، ما يقول: أنا نصحتُ الخلق، بالعكس، أنت أغويتهم، وتلاحظون أن النصيحة ليست مجرد الأقوال، أو الدلالة والتذكير، والنصيحة أعم، ولذلك أنت تختار لأخيك ما تختاره لنفسك، هذا من النصيحة، قد يأتينا إنسانٌ لا تظهر عليه مظاهر الصلاح، فيقوم بمراقبة تعامله مع الآخرين، ويمحضهم النصيحة، ويرغب في استكمال أمورهم وإتمامها، فيكون حينئذٍ قد حقق المقصود الشرعي في هذا الباب.
- أن من النصيحة أن تكف الأذى عن غيرك، وأول ذلك أذاك، هذا من النصيحة، إذا كففت أذاك عن الآخرين، سواءً كان أذىً قولياً، أو أذىً فعلياً، فإنك حينئذٍ تكون نصحتَ لنفسك.
- وهكذا من أنواع النصيحة: الإصلاح بين الخلق، إذا وجد متخاصمون، فإن من النصيحة لهم السعي في إصلاحهم، وتقريب وجهات نظرهم، وإبعادهم عن المماحكات والقضايا، وعرضها على المحاكم ونحو ذلك، فكل هذا مما يحقق، أو مما يدخل في مفهوم النصيحة.
- وبهذا يتبين لك أن كلمة النصيحة لا يفهمها أكثر الناس، وأنهم يفهمون منها خلاف ما يفهمه من يعرف حقيقة هذه الكلمة، أو يتكلم بها.

وصلى الله على نبيينا محمد، وعلى آله وأصحابه وأتباعه، وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين.

